

ذا هيل: غزة قد تكون بوتقة النظام الجديد في الشرق الأوسط



نشر موقع ذا هيل الأمريكي تقريراً للكاتبة منى يعقوبيان، الخبيرة الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، تُسلط الضوء فيه على إمكانية أن تكون غزة بوتقة النظام الجديد في الشرق الأوسط.

وتقول الكاتبة إن الشرق الأوسط يمر بلحظة مفصلية. فالنظام القديم ينهار، ولم ينشأ نظام جديد بعد. ورغم أن التحولات البنيوية التي تشهدها المنطقة تسبق هجوم حماس في السابع من أكتوبر، فإن الصراع الذي أعقب ذلك في غزة وأصداءه في مختلف أنحاء المنطقة يشكل البوتقة التي سوف تتشكل فيها الملامح الجديدة للشرق الأوسط.

ويجب على الولايات المتحدة – التي لا تزال لا غنى عنها على الرغم من تراجع نفوذها – أن تغتنم هذه اللحظة، وأن تساعد، من خلال الدبلوماسية الجريئة والإبداعية، في تحفيز تحويل المأساة والصدمة التي لا توصف إلى فرصة لتحقيق السلام والازدهار الدائمين.

وتلفت الكاتبة إلى أن بداية شهر رمضان اليوم والأمل في هدنة إنسانية أخرى أطول وإطلاق سراح الرهائن تمثل مفترق طرق حاسم في الحرب: أحد الطرق يؤدي إلى تفاقم العنف وربما حريق على مستوى المنطقة؛ أما النقطة الأخرى فتشير إلى سلام تحويلي يتوج بحل الصراع الإسرائيلي الفلسطيني الذي طال أمده واندماج إسرائيل الأوسع في المنطقة.

وتُعد المسارات المتباينة صارخة إلى هذا الحد. ليس هناك طريق ثالث. لقد تحطمت الأسطورة القائلة بأن الصراع يمكن إدارته بشكل لا رجعة فيه بسبب بؤر التوتر المنبعثة من غزة في مختلف أنحاء الشرق الأوسط. وأي من هذه الأحداث يمكن أن يتطور إلى صراع أوسع نطاقاً، الأمر الذي قد يغرق المنطقة في عقود من عدم الاستقرار ويهدد الأمن العالمي.

وحتى قبل الاضطرابات الحالية، كان الشرق الأوسط يمر بمنعطف مزعج – نقطة انقطاع دامت سبعين عاماً – وينتقل من عصر الهيمنة الأميركية إلى عصر جديد متعدد الأقطاب. وأدى الانسحاب الأمريكي الفوضوي من أفغانستان في أغسطس 2021 وعدم رد أمريكا على هجوم ضخم بطائرة مسيرة مدعوم من إيران على منشأة نفطية في السعودية في عام 2019، إلى تعميق التصورات الإقليمية حول الانسحاب الأمريكي وعدم موثوقيته.

وبفضل شعور أكبر بالقدرة على التصرف، سعت الجهات الفاعلة الإقليمية – المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وتركيا، على سبيل المثال لا الحصر – على نحو متزايد إلى حل مشاكلها وتهديد التوترات. وقد أدى ذلك إلى سلسلة من التحولات التي تحركها المنطقة. ومن بين الأمثلة القليلة على ذلك ترحيب الجامعة العربية بعودة نظام بشار الأسد السوري الذي كان منبوذاً، وعمل دول مجلس التعاون الخليجي على إصلاح خلافاتها الداخلية، والدفع بين تركيا والمملكة العربية السعودية.

يتميز هذا العصر الجديد متعدد الأقطاب أيضاً بدور أكثر نشاطاً للصين، التي توسّطت بشكل ملحوظ في التقارب بين المملكة العربية السعودية وإيران (على الرغم من أن العراق وعمان لعبا أيضاً أدواراً رئيسية) وعلاقات اقتصادية وتجارية أعمق بكثير بين بكين والخليج. وكان انضمام مصر والمملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة وإيران إلى مجموعة البريكس الموسعة حديثاً بمثابة علامة فارقة أخرى على طريق المنطقة إلى عصر متعدد الأقطاب.

وتشير الكتابة إلى أن روسيا الضعيفة، ولكن الأكثر خطورة، تشكل أيضاً لاعباً أساسياً في النظام الناشئ في الشرق الأوسط. وقد أدى اعتمادها المتزايد على إيران لتغذية حربها في أوكرانيا إلى مستويات غير مسبوقه من التعاون العسكري، حيث تقدم طهران طائرات مسيرة وصواريخ باليستية لموسكو، مما يهدد بقلب التوازن الأمني في الشرق الأوسط اعتماداً على ما تقدمه روسيا في المقابل.

وعلى الرغم من محورها الواضح بعيداً عن المنطقة، لا تزال الولايات المتحدة تلعب دوراً حاسماً هناك. لقد بشرت باتفاقيات إبراهيم لعام 2020 التي أدت إلى تطبيع العلاقات بين إسرائيل والإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب. كما أدت الدبلوماسية الأمريكية إلى مفاوضات ناجحة بشأن الحدود البحرية الدائمة بين إسرائيل ولبنان في عام 2022.

وفي الآونة الأخيرة، أفادت التقارير أن واشنطن حققت تقدماً ملموساً في تنسيق ترتيب معقد كان من شأنه أن يؤدي إلى تطبيع العلاقات بين إسرائيل والمملكة العربية السعودية. والحقيقة أن حماس ربما اختارت توقيت هجومها بحيث يخرج الجهود عن مسارها قبل أن تكتسب قدراً كبيراً من الزخم.

كان هجوم السابع من أكتوبر بمثابة تذكير صارخ بأن المعركة من أجل تشكيل النظام الناشئ في الشرق الأوسط شرسة وسوف يتردد صداها على مدى الأجيال القادمة. ويكثر المفسدون والمتطرفون الذين يستغلون الصراعات التي لم تُحل، مثل تلك التي تمزق الإسرائيليين والفلسطينيين، من دون توفير بديل حقيقي، ناهيك عن السلام أو الأمن لأي من الجانبين.

وفي أماكن أخرى، سوف تزدهر القوى الخبيثة في مواجهة الحكم الطويل الأمد والتحديات الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، فتستغل السخط الشعبي الناتج عن سنوات من الفساد المستشري، وعدم كفاية الخدمات العامة، والقطاع الخاص الهزيل لصالحها. إن المفسدين والمتطرفين والجهات الفاعلة الخبيثة هم الذين سيخرجون منتصرين في الشرق الأوسط الذي مزقته الصراعات.

وتنوّه الكتابة إلى أنه وفي شرق أوسط متعدد الأقطاب، لا يزال يتعين على الولايات المتحدة أن تلعب دوراً أساسياً في تحفيز الجهود الضرورية من جانب جهات فاعلة متعددة – الدول العربية المعتدلة، والأوروبيين، والمنظمات المتعددة الأطراف، والمجتمع الدولي الأوسع – لحل المشاكل وحل الصراعات.

ومع ذلك، يجب على واشنطن تنشيط وتشجيع دبلوماسيتها، واستخدام نفوذها عند الضرورة وشحن حلها الإبداعي للمشاكل للمساعدة في تحفيز سلام عادل ودائم للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، وضمان أن يتمكن أطرافه على كلا الجانبين من العيش في سلام وكرامة.

وهذا من شأنه أن يطلق العنان لإمكانات المنطقة الهائلة غير المستغلة، ويضع الأساس لتكامل إقليمي أوسع يشمل إسرائيل. وفي هذه الرؤية المثالية، سيعمل أصحاب المصلحة الرئيسون في المنطقة معاً لمعالجة التحديات المشتركة، بما في ذلك التأثيرات المناخية الحادة، والبنية التحتية غير الكافية، والتجارة عبر الإقليمية المتخلفة.

وتؤكد الكتابة أن إحراز التقدم في علاج العلل التي تعاني منها المنطقة منذ فترة طويلة سوف يكون أعظم ترياق لتحديد أولئك الذين يستفيدون من الفوضى في المنطقة. إن الاقتصادات المزدهرة القادرة على خلق فرص العمل والحكم الفعّال الذي يعالج المشاكل اليومية للمواطنين من شأنها أن تحرم

الجهات الفاعلة الخبيثة من الأكسجين الذي يدعمها.

وتقول الكاتبة إن مسار حرب غزة سوف يشكل النظام الناشئ في الشرق الأوسط. وتقف الولايات المتحدة في طليعة الأطراف المعنية التي يمكنها الدخول في حقبة غير مسبوقه من السلام. ومن بين عدد كبير من اللاعبين، تبقى واشنطن الممثل الذي لا غنى عنه.

ومع ذلك، في مواجهة تراجع النفوذ الأمريكي وتزايد المشاعر المعادية لأمريكا، يجب على واشنطن أن تكثف جهودها لإعادة تنشيط دبلوماسيتها بينما تظل الفرصة قائمة لتشكيل نتيجة الصراع بشكل إيجابي، ومعه الشرق الأوسط الجديد.